المحاضرة الأولى:مدخل إلى السرديات العربية الحديثة والمعاصرة

إن الحكاية قد تطورت مع تطور الإنسان وتقدمها، وهي قطعة حيوية من تراث المعرفة والعلم، إذن لا تزال تحفظها الذاكرة الجماعية بكل آلامها وآمالها ومتخيلاتها مسايرة مع صاحبها بكل تزودها وترقيتها، وهذه الحكاية عندما تتخذ شكلا ذا طبع وظيفي وتحتوى على مفهومات معينة يقصد إليها المتكلم أو المؤلف وعندما تشمل مكونات مخصوصة وتضمر في الوقت نفسه أصولا أساسية ووجهات مؤسسة الخطاب تصبح سردا.

و لا يمكن دراسة السرد العربي، قديمه وحديثه بدون الوقوف بالتفصيل على مجموعة من الأسس النظرية في تحليله، والسياقات الثقافية الحاضنة له، أما النظرية فلأنها تحدد طبيعة الرؤية النقدية التي اتبعت في معاجلة هذه الظاهرة الأدبية خلال تاريخها الطويل الذي يربو على ألف وخمسمائة سنة، وأما الثقافية فلأنها تمثل السياق الذي احتضن هذه الظاهرة وشارك في صوغها وحدد ملامحها العامة.

1-مفهوم السرد لغة:

وقد دلت كلمة السرد بالنظر إلى ألأصل على مجموعة من المفاهيم اللغوية، السرد في اللغة تقدمة شيء إلى شيء تأتي به متسقا بعضه إثر بعض متتابعا، وسرد الحديث ونحوه يسرده سردا إذا تابعه، وفلان يسرد الحديث إذا كان جيد السياق له، وفى صفة كلامه صلى الله عليه وسلم لم يكن يسرد الحديث سردا، أي يتابعه ويستعجل فيه وسرد القرآن : تابع قراءته في حذر منه والسرد التتابع.

فاقترنت دلالة السرد، في اللغة العربية بالنسج، وجودة السبك، وحسن الصوغ والبراعة في إيراد الأخبار وفى تركيبها، وترددت هذه المعاني مجتمعة أو متفرقة في المعاجم اللغوية وفي مصادر الأدب العربي، وقد كرس القرآن الكريم هذا المعنى في قوله تعالى "أن أعمل سابغات

وقدر في السرد" سورة سبأ الآية 11، أي أحكم يا داود نسج الدروع وأجد في تثقيبها وكن متقنا صناعتها فاجعلها تامة الجودة، وحسب التأويل القرآني وقد كان الدروع صفائح ثقيلة من الحديد تعيق الحركة، ولذلك أمر الله النبي داوود بأن يسردها أي أن يصنعها حلقا متداخلة بعضها في بعض فتيسر حركة المقاتل بها عند الحرب.

2-مفهوم السرد اصطلاحا:

على حسب هذه النظرية أن السرد يتوقف على دعامة مهمة وعلى فصل مقوم مشتملا على قصة أو حديث أو تاريخ أو أي نوع من أنواع الأدب وهذه الدعامة هي الكيفية التي يأتي بها الكلام وفى معني ذلك يتدخل جون ساذرلاند قائلا:"ليست القصة والسرد كلمتين مترادفين ببساطة شديدة، توجه القصة انتباهنا إلى ما يقال، أما السرد فيوجه انتباهنا إلى الكيفية التي قيل بها إلى البراعة الفنية وليس الموضوع." لعل معنى ذلك أن السرد والقصة متغايران لكل منهما مميز ونقوم على حدة وأن السرد هو نوع من البراعة الفنية التي تجيد الأدب وتجمله وأن المسرود أي القصة مضمونها نوع من أنواع الأدب من غير اعتبار الجمال الفني وهذا السرد والمسرود كلما التحقا والتصقا حتى يكون شيئا واحدا يتشكل هناك نوع أدبي فني.

ويؤيد هذا التفصيل تعريف حميد لحميدانى إن السرد هو"الكيفية التي تروى بها القصة عن طريق قناة الراوي والمروي لها وما تخضع له من مؤثرات بعضها متعلق بالراوي والمروي له والبعض الآخر متعلق بالقصة ذاتها." وفي هذا التعريف من زيادة الفائدة لأنه تضمن مكونات السرد وأشكالها من الراوى والمروي له وأنواع الخطاب وشخصيات القصة وزمانها ومكانها.

يرى رولان بارت عند محاولته لتعريف السرد بالمفهوم النقدي الحديث، أنه رسالة يتم إرسالها من مرسل إلى مرسل إليه وقد تكون هذه الرسالة شفوية أو كتابية والسرد لديه حاضر في الأسطورة والخرافة والحكاية والقصة والملحمة وهي شعر غالبا، والتاريخ والمأساة والكوميديا

إنه يبدأ يعني السرد مع تاريخ الإنسانية نفسها فلا يوجد أبدا شعب دون سرد، هذا التوجه يدعم وجهة نظرنا عن وجود السرد بطرائقه المختلفة في مجمل الأجناس الأدبية .ومن بينها النصوص العربية القديمة، حتى الشفاهية منها لا يمكن مناقشة إشكالية السرد خارج الكلام على مصطلح الحكاية و الحكي، وهذا ما يذهب إليه جل النقاد الذين تكلموا على مصطلح السرد، فى النصوص الإبداعية الحديثة على الأقل، ومنهم على سبيل المثال لا الحصر الناقد جيرار جنيت الذي يعرف السرد بقوله:"هو فعل واقعي أو خيالي ينتج عن الخطاب ويعده واقعية روائية بالذات، وهذا الرأي لا ينفى إمكانية وجود السرد في الأجناس الأدبية الأخرى."

ثم السرد ليس مختصا بخطاب خاص وهو يلازم كل نوع من أنواع الحكايات سواء أدبية أو غير أدبية وهو في كل مرة يصاحبنا وفى كل صورة خطابية يلازمنا مع تعاقب الأجيال تتغير طبيعته وتتبدل النظرة إليه فالسرد فعل لا حدود له يتسع ليشمل مختلف الخطابات سواء كانت أدبية أو غير أدبية يبدعه الإنسان أينما وجد وحيثما كان، يصرح رولان بارت قائلا:"يمكن أن يؤدي الحكي بواسطة اللغة المستعملة شفاهية كانت أو كتابية وبواسطة الصورة ثابتة أو متحركة، وبالحركة، وبواسطة الامتزاج المنظم لكل هذه المواد .إنه حاضر في الأسطورة والخرافة والأمثولة والحكاية والقصة والملحمة والتاريخ والمأساة والدراما والملهاة والإيماء و اللوحة المرسومة وفى الزجاج المزوق والسينما والأنشوطات والمنوعات والمحادثات.

3-مكونات السرد:

ونقصد بالمكونات أركان المهمة الأساسية التي يبتنى عليها السرد ,وعندما يكون الحكي خاليا من واحد من هذه الأركان لا يكون سردا اصطلاحيا والعلماء قد قسموا أركانه إلى ثلاثة:

•الراوي – أي المرسل –أو السارد

•المروي – أي الرسالة – أو المسرود

•المروي له– أي المرسل إليه – أو المسرود

3-1-الراوي:

هو ذلك الشخص الذي يروي الحكاية، أو يخبر عنها سواء كانت حقيقية أو متخيلة ولا يشترط أن يكون اسما معينا قد يتوارى خلف صوت أو ضمير يصوغ بواسطة المروي بما فيه من أحداث ووقائع، والراوي هو الشخص الذي يصنع القصة وليس هو الكاتب بالضرورة في التقليد الأدبي بل هو وسيط بين أحداث ومتلقيها.

3-2-**المروي**:

المروي هو كل ما يصدر عن الراوي وينتظم لتشكيل مجموعة من الأحداث يقترن بأشخاص ويؤطره فضاء من الزمان والمكان وتعد الحكاية جوهر المروي والمركز الذي تتفاعل كل العناصر حوله، المروي أي الرواية نفسها الذي تحتاج إلى راو ومروي له أو إلى مرسل و مرسل إليه وأن الحكاية والسرد الذين هما طرفا ثنائية لدى السانيين هما وجها المروي المتلازمان اللذان لا يمكن القول بوجود أحدهما دون الآخر.

3-3-المرسل إليه:

المروي له هو الذي يتلقى ما يرسله الراوي سواء كان اسما متعينا ضمن البنية السردية أم شخصا مجهولا ..والمروي له شخص يوجه الراوي خطابه.. والاهتمام بالمروي له جعل البحث في البنية السردية أكثر موضوعية من ذي قبل ذلك.

المراجع:

شميم كي، منصور أيمن: ماهية السرد: مفاهيمه ومكوناته، مجلة الساج، مجلد2، 2020.